

Burlövs kommun

Svenshögskolan

أَفْصَىٰ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ

مَجْمُوعَةٌ قِصَصِيَّةٌ

فَاضِلْ عَبَّاسِ حَسِينِ الْجَلَالِي

ARABISKA SAGOR

FÖR

UNGDOMAR

Eljelali fadhil

هذا من فضل الله
أسألكم الدعاء

المقدمة

عندما كنتُ صغيراً حلمتُ كثيراً بالخاتمِ السّحريِّ
وبالمصباحِ الدُّريِّ ولقاءِ عملاقه الذي يُحقِّقُ الأحلامَ وَيُنْفِذُ
الأوامرَ وكثيراً ما حلمتُ برحلةٍ مُشوّقةٍ كرحلاتِ السُّنْدبادِ
لعليّ أرى الجواهرَ الثمينةَ أو أجدُ الكنوزَ العجيبةَ. حلمتُ
وتمنّيتُ حتّى اشتدَّ ساعدي فرَكبتُ العنقاءَ الطّائرةَ وتركتُ
أهلي وبلدي واتّجّهتُ إلى بلادِ العَرَبِ ثمَّ إلى بلادِ العجمِ
فطالَ بي العُمُرُ حتّى صارَ أولادي أطولَ مِنِّي، ورغمَ هذا
وذاك لم أجدُ جوهرةً واحدةً تُحقِّقُ حلمي وتَمَلِّأُ نفسي
سعادةً، فحاسبتُ سنواتِ عُمري وتأمّلتُ فتبيّنَ لي سرُّ
فشلي، ثمَّ رجعتُ إلى نفسي وتقرّبتُ إلى خالقي فوجدتُ
الجواهرَ حولي والكنوزَ بجانبِي فتصفّحتها وتمنّنتُ فيها
فألهمتني الكتابةُ التي أحاطتني بالسُّرورِ، فما السُّعادةُ إلاَّ
الإيمانُ باللهِ والتّصديقُ بكُتبهِ والعملُ بشرائعه، وما السُّرورُ إلاَّ
العملُ الصّالحُ والكلمةُ الطّيبةُ، وما الإخلاصُ إلاَّ التّبعُ
رسالةِ الحقِّ المُبينِ.

" رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ "

كَالرَّحَالَةِ عَشْتُ الْحَيَاةَ غَرِيبًا بَيْنَ شَرْقٍ وَغَرْبٍ، مُتَنَقِّلًا بَيْنَ بَلَدٍ وَآخَرَ.
وَقَدْ صَارَتْ لِييَا فِتْرَةً مَحَطَّةً فِي رَحَلَاتِي فَزُرْتُ أَكْبَرَ مُدْنِيهَا وَعَمَلْتُ
فِي مَدَارِسِهَا. دَرَسْتُ طَالِبَاتِهَا فَكُنَّ مُؤَدِّبَاتٍ مُجْتَهِدَاتٍ وَصَادَقْتُ بَعْضَ
رِجَالِهَا فَكَانُوا إِخْوَانًا وَأَصْدِقَاءَ أَفْضَلِهِمْ أَخِي وَصَدِيقِي عَبْدَ السَّلَامِ
"الَّذِي لَبِسَهُ اسْمُهُ كَمَا لَبِسَهُ جِلْدُهُ سِوَاءً بِسِوَاءٍ".

كَانَ وَفِي الْعَهْدِ، كَرِيمَ النَّفْسِ، صَادِقَ الْمَشَاعِرِ، رَعُوفَ الْقَلْبِ.
كَانَ بَارًا بِأُمَّهُ لَطِيفًا مَعَ أُسْرَتِهِ مُرَحِبًا بِضَيْفِهِ مُسَاعِدًا لِجَارِهِ.
عَطْفُهُ عَلَى الصَّغِيرِ كَبِيرٌ، كَلَامُهُ مَعَ الْمُسْنِ رَقِيقٌ.
يَجْلِسُ بِوَقَارٍ وَيَتَكَلَّمُ مَعَ النَّاسِ بِأَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ.
لَا يَنْفَعِلُ عِنْدَ النَّقَاشِ وَلَا يَغْضَبُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ.
كَانَ قَارِنًا لِلْقُرْآنِ وَمُحَافِظًا عَلَى الصَّلَاةِ.
بَسِيطٌ فِي مَأْكَلِهِ أَنْيَقٌ فِي مَلْبَسِهِ.
"بُشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ".

يُحْتَرِمُ الْمُغْتَرِبِينَ وَيُسَاعِدُ الْمَسَاكِينَ.
كَانَ كَالْأَخِ يُبَدِّدُ الْحُزْنَ عِنْدَ الْأَسَى وَالْأَلَمَ عِنْدَ الْوَجَعِ.
كَانَ سَلَامًا وَحُبًّا وَخَيْرًا كَثِيرًا.

اللُّصُوصُ الْغُرَبَاءُ

يُحْكِي أَنَّ مَتَاجِرَ عَاصِمَةِ عَرَبِيَّةٍ كَانَتْ
مَمْلُوءَةً بِالْبِضَاعِ الْفَاحِرَةِ الْمُتَّوَعَّةِ
الْمُصَدِرِ وَأَنَّ تُجَارَهَا كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ
بِدِينِهِمْ، مُخْلِصِينَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ وَمُرْحِبِينَ
بِنَاسِهِمْ وَكَانَ الْمَرءُ يَدْخُلُ الْمَتَجِرَ
فِيخْتَارُ الْبِضَاعَةَ ثُمَّ يَضَعُ النُّقُودَ فِي مَحَلٍّ
جَمَعَهَا دُونَ الرُّجُوعِ إِلَى صَاحِبِ
الْمَتَجِرِ. فَسَمِعَ الْعَرَبُ الْآخَرُونَ فِي الدُّوَلِ
الْمُجَاوِرَةِ بِثَرَوَاتِ بِلَادِهَا وَفُرْصِ الْعَمَلِ
الْمَوْجُودَةِ عَلَى أَرْضِهَا فَدَخَلُوا حُدُودَهَا
وَعَمِلَ مَعْظَمُهُمْ فِي الْعَاصِمَةِ فَدَبَّ الْفَسَادُ
شَيْئًا فَشَيْئًا بَيْنَ جُدْرَانِ مَتَاجِرِهَا بِفِعْلِ
اللُّصُوصِ وَضِعَافِ النُّفُوسِ الَّذِينَ كَانُوا
يَدْخُلُونَ الْمَتَاجِرَ بِالسَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ
وَيَخْرُجُونَ بِالْبِضَاعَةِ دُونَ أَنْ يَدْفَعُوا
ثَمَنَهَا بَلْ وَيَسْرِقُونَ النُّقُودَ الْمَوْجُودَةَ فِي
دَاحِلِهَا. فَضَاعَتِ الثَّقَةُ وَتَغَيَّرَتِ الْأَخْلَاقُ
وَضَعُفَتِ الْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالضُّيُوفِ.

مُغْتَرِبَةٌ صَوْمَالِيَّةٌ

كَعَادَتِهَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا تَجُرُّ عَرَبَتَهَا وَاتَّجَهَتْ نَحْوَ سَاحَةِ بَيْعِ
الْخُضْرَةِ الْقَرِيْبَةِ مِنْ شِقَّتِهَا. تَرَكَتْ أَطْفَالَهَا مُسْتَعْرِقِينَ فِي نَوْمِهِمْ
فَالْيَوْمَ يَوْمٌ عَطَلَةٌ، وَالْمَدَارِسُ مُغْلَقَةٌ أَبْوَابُهَا.
امْرَأَةٌ صَوْمَالِيَّةٌ مُحَجَّبَةٌ رَشِيْقَةٌ الْقَامَةُ حَسَنَةُ الْخُلُقِ.
الْحَيَاءُ فِي مَظْهَرِهَا، وَالْوَقَارُ فِي مَلْبَسِهَا.
بَيْنَمَا كَانَتْ وَاقِفَةً مُتَمَعِّنَةً فِي خُضْرَةِ الشَّجَرِ، مُنْتَظِرَةً إِشَارَةَ الْمُرُورِ
قَطَعَ الشَّارِعَ مِنَ الطَّرْفِ الْآخِرِ رَجُلٌ رَثَّ الْمَلْبَسِ أَشَعَّتْ الشَّعْرَ
يَحْمِلُ فِي يَدِهِ قَارُورَةَ السُّكْرِ مُتَجَاوِزًا قَانُونَ السَّلَامَةِ. صَرَخَ فِي وَجْهِهَا، وَجَهَّ
نَحْوَهَا عِبَارَاتٍ لَا تَلِيْقُ بِهَا سَبٌّ وَسُخْرِيَّةٌ.
فَسَالَتْ دُمُوعُهَا، وَاضْطَرَبَتْ أَنْفَاسُهَا، وَارْتَعَشَتْ أَرْكَانُهَا
فَرَفَعَتْ إِلَى الْقَوِيِّ الْمُنْتَقِمِ رَأْسُهَا. فَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ مُسْرِعَةٌ فَصَدَمَتْهُ
بِقُوَّةٍ فَرَفَعَتْهُ إِلَى الْأَعْلَى ثُمَّ هَوَى بِالْقُرْبِ مِنْ رِجْلِهَا.
رَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَهَا وَفَتَحَ فَاهُ لِيَقُولَ شَيْئًا مَا فَلَمْ يَقْدِرْ.

" رُبَّ حَالٍ أَفْصَحَ مِنْ لِسَانٍ "

صارت مهنة الشحاذة عملاً مألوفاً في كثير من دُولِ الْعَالَمِ الْمُتَأَخَّرِ وَمَنْظَراً
مَمْقُوتاً فِي الدُّوَلِ الْمُتَقَدِّمَةِ. وَصَارَ الْمُتَسَوِّلُونَ بَارِعِينَ فِي اخْتِرَاعِ الْوَسَائِلِ
وَخُبْرَاءَ فِي اخْتِيَارِ الْأَمَاكِنِ. مِنْهُمْ مَنْ يَشْحَذُ النَّاسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِمْ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْلِفُ وَيَبْكِي. فَفِي إِحْدَى الْمُدُنِ الْعَرَبِيَّةِ السِّيَاحِيَّةِ صَادَفْتُ رَجُلًا
ذَا ثِيَابٍ جَمِيلَةٍ وَنَظِيفَةٍ يَمْشِي بِانْتِظَامٍ وَيَحْمِلُ بِيَدِهِ حَقِيبةً تُوْحِي لِنَظَرِهَا وَكَأَنَّ
الرَّجُلَ ذَاهِبًا لِتَبَضُّعٍ. اقْتَرَبَ مِنِّي وَصَارَ بَجَانِبِي ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيَّ. فَرَدَدْتُ السَّلَامَ
وَابْتَسَمْتُ لَهُ فَإِذَا بِهِ يَمُدُّ يَدَهُ لِيَطْلُبَ الْمَسَاعِدَةَ مِنِّي اسْتَعْرَبْتُ مِنْ تَصْرِفِهِ الْمُعِيبِ
وَطَلَبَهُ الْغَرِيبَ فَهَيَّئْتُهُ أُنَيْقَةً وَمَنْطِقَهُ سَلِيمًا.

فَقُلْتُ لَهُ إِنَّكَ مُتَسَوِّلٌ غَرِيبٌ بَلْ شَحَّاذٌ عَجِيبٌ

لَا يَبْدُ عَلَيْكَ الْفَقْرُ وَلَا الْمَسْكَنَةُ وَلَا يَنْطَبِقُ عَلَيْكَ حَالَةُ ابْنِ السَّبِيلِ.

فَأَجَابَنِي بِعِزَّةٍ وَافْتِخَارٍ لَا أَنَا مِنْ هَذَا وَلَا أَنَا مِنْ ذَاكَ

وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُوفِّرَ لِلْمُسْتَقْبَلِ وَلِيَوْمِ الْفَاقَةِ.

فَأَعْرَضْتُ عَنْهُ وَتَرَكْتُهُ حَائِراً فِي طَرِيقِهِ.

شَجَرَةُ الْوَرْدِ

دَخَلَ عَلَيْهِ جَارُهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي مَزْرَعَتِهِ نَازِرًا إِلَى شَجَرَةِ وَرْدٍ غَرِيْبَةٍ فِي جَمَالِهَا
بَدِيْعَةٍ فِي صُنْعِهَا فَوَاحَةً لِعَطْرِهَا. سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَحَّبَ بِهِ وَأَجْلَسَهُ عَلَى كُرْسِيِّ كَانَ
بِجَانِبِهِ وَقَالَ حَزِينًا: تَأَمَّلْ خَلْقَ اللَّهِ! ثُمَّ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.
ثُمَّ قَالَ: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

رَدَّدَ الْجَارُ الْآيَتَيْنِ بَعْدَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ فَلَا حَظَّ النَّدَامَةَ فِي وَجْهِهِ وَالْحَسْرَةَ مِنْ أَعْمَاقِهِ. ثُمَّ
نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى شَجَرَةِ الْوَرْدِ وَقَالَ: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.
انْدَهَشَ الْجَارُ وَزَادَ اسْتِغْرَابُهُ وَكَثُرَ فُضُولُهُ وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قِصَّةَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَسَأَلَهُ
عَنْهَا وَعَنْ مَصْدَرِهَا فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ قِصَّةَ الشَّجَرَةِ غَرِيْبَةٌ وَعَجِيْبَةٌ.
عَلَّمْتَنِي دَرَسًا لَا أَنْسَاهُ أَبَدًا وَكُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا أَزْدَادَ حُزْنِي وَكَثُرَتْ كِتَابَتِي فَأَلْتَجِيءُ
إِلَى اللَّهِ لَعَلَّهُ يَغْفِرُ خَطِيئَتِي. ثُمَّ قَالَ:

قَبْلَ سَنَوَاتٍ زَرْتُ الْحَدِيْقَةَ الْعَامَّةَ لِاسْتِنْسَاقِ الْهَوَاءِ النَّظِيْفِ وَلِأُرْفَهُ عَنْ نَفْسِي قَلِيْلًا
فَوَجَدْتُ الْفَلَاحَ يَعْتَنِي بِأَرْضِهَا وَشَجَرِهَا وَزُهُورِهَا فَأَعْجَبْتَنِي شَجَرَةٌ وَرَدٍ جَمِيْلَةٌ
فَاقْتَرَبْتُ مِنْهَا وَشَمَمْتُهَا فَطَارَ صَوَابِي مِنْ عَطْرِهَا فَتَمَنَّيْتُ لَوْ أَنَّ فِي حَدِيْقَتِي عَشْرَةَ
مِثْلِهَا. وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَنَا وَاقِفًا قُرْبَهَا وَإِذَا بِالْبُسْتَانِيِّ يَسْأَلُنِي إِنْ كُنْتُ أُرِيدُ فِي الْبَيْتِ
زَرْعَهَا. هَزَزْتُ رَأْسِي قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ لِسَانِي. فَأَعْطَانِي غُصْنًا وَاحِدًا
وَقَالَ: بَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ مَوْعَدَ زَرْعِهَا. طَلَبْتُ مِنْهُ الْمَزِيْدَ فَرَفَضَ وَقَالَ: وَاحِدَةٌ تَكْفِي.
لَمْ أَقْنَعْ بِمَا قَسَمَ لِي رَبِّي فَذَهَبْتُ إِلَى بَيْتِي ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْحَدِيْقَةِ الْعَامَّةِ لَيْلًا وَقَطَعْتُ
مِنَ الشَّجَرَةِ أَغْصَانًا كَثِيْرَةً. زَرَعْتُ الْأَغْصَانَ كُلَّهَا فِي مَوْعِدِهَا
فَلَمْ يَعِشْ وَيَنْمُ إِلَّا غُصْنُ الْفَلَاحِ الَّذِي قَسَمَهُ لِي رَبِّي.

الحلم

تَحَسَّنَتْ حَالَتُهُ الْمَادِيَّةُ وَجَمَعَ مَبْلَغًا فَأَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ بَيْتًا صَغِيرًا يَضُمُّ عَائِلَتَهُ بَعْدَ أَنْ ارْتَفَعَتْ أَسْعَارُ اسْتِئْجَارِ الشُّتْقِ. طَرَقَ أَبْوَابَ مَكَاتِبِ الْعِقَارَاتِ وَفَتَّشَ بَيْنَ صَفَحَاتِ الْحَرَائِدِ وَبَحَثَ فِي شَبَكَةِ الْمَعْلُومَاتِ حَتَّى أَثْمَرَ سَعْيُهُ فَوَجَدَ فِي أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ مَتْرَلًا مُنَاسِبًا لِأُسْرَتِهِ. اتَّصَلَ بِصَاحِبَةِ الْبَيْتِ وَاتَّفَقَ مَعَهَا عَلَى مَوْعَدٍ لِمُعَايِنَتِهِ. زَارَ الْمَكَانَ مَعَ زَوْجَتِهِ وَشَاهَدَا الْبَيْتَ وَفَحَصَا غُرْفَهُ وَمَرَّافِقَهُ فَوَجَدَاهُ بَيْتًا صَحِيحًا خَالٍ مِنَ الرُّطُوبَةِ وَلَهُ حَدِيقَةٌ جَمِيلَةٌ مُمْتَلِئَةٌ بِالْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ. اتَّفَقَا عَلَى السَّعْرِ النَّهَائِيِّ مَعَ صَاحِبَتِهِ الَّتِي قَدَّمَتْ لَهُمُ الْقَهْوَةَ وَقَطَعَ الْحَلْوَى. عِنْدَ الْعُودَةِ حَسَبَا وَعَدَّ مَا وَفَّرَا فَوَجَدَا الْمَبْلَغَ نَاقِصًا فَاقْتَرَحَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْمَعَارِفِ فِكْرَةَ الْاِقْتِرَاضِ مِنَ الْمَصْرَفِ فَرَفَضَهَا رَفْضًا قَاطِعًا بِسَبَبِ فَائِدَةِ الْمَصْرَفِ الرَّبَوِيِّ وَلَكِنَّ زَوْجَتَهُ طَمَأْنَتْ قَلْبَهُ وَأَزَالَتْ قَلْقَهُ عِنْدَمَا قَرَأَتْ عَلَيْهِ بَعْضَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَحَثَّتُهُ عَلَى التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ.

نَامَ الرَّجُلُ فَقَابَلَ صَدِيقًا لَهُ وَحَكَى لَهُ فَاقْتَهُ وَحَاجَتَهُ لِلْمَالِ فَأَعْطَاهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ فَاسْتَيْقَظَ فَرِحًا وَهَمَّ بِالِاتِّصَالِ بِصَاحِبِهِ فَإِذَا بِصَاحِبِهِ يَتَّصِلُ بِهِ وَيَخْبِرُهُ بِاسْتِعْدَادِهِ لِتَقْدِيمِ الْمُسَاعَدَةِ الْمَادِيَّةِ. اسْتَعْرَبَ الرَّجُلُ وَسَأَلَهُ بِغَرَابَةٍ عَنِ كَيْفِيَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِالْأَمْرِ. فَبَدَأَ صَاحِبُهُ يَسْرُدُ لَهُ حُلْمًا حَلَمَهُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَّةِ.

حُلْمٌ قَابَلُهُ فِيهِ وَطَلَبَ مِنْهُ الْمُسَاعَدَةَ.

الفرقُ كبير

رَكِبَ سَيَّارَتَهُ وَسَاقَ مُحَرِّكَهَا بِهُدُوءٍ نَحْوَ مَتَجَرٍّ لَيْسَ عَن دَارِهِ بِقَرِيبٍ لَتَبَضُّعِ
كِعَادَتِهِ. كَانَتْ الشَّوَارِعُ هَادِيَةً فَلَا ضَجِيحٌ يُزَعِجُهُ وَلَا اِزْدِحَامٌ يَكْدِّرُهُ.
وَصَلَ السُّوقَ فَوَجَدَ مَوْقِفَ السِّيَّارَاتِ فَارِعًا. أَوْقَفَ السِّيَّارَةَ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِّنَ
الْمَدْخَلِ ثُمَّ نَزَلَ مِنْهَا وَأَحْضَرَ تَذْكَرَةَ الْمَوْقِفِ. دَخَلَ الْمَتَجَرَ وَابْتَعَ لِنَفْسِهِ مَا
يُرِيدُ وَلَطْفَلَهُ مَا يَحْتَاجُ وَلِبَيْتِهِ مَا يَلْزِمُ. لَمْ يَسْتَغْرِقْ شِرَاءَ الْحَاجَاتِ وَقْتًا طَوِيلًا.
خَرَجَ بَعْدَ أَنْ دَفَعَ الْحِسَابَ. تَقَدَّمَ نَحْوَ سَيَّارَتِهِ وَفَتَحَ صُنْدُوقَهَا الْخَلْفِي لِيَضَعَ مَا
اشْتَرَى وَبَيْنَمَا هُوَ مُنْشَغَلٌ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ مُسْرِعَةٌ يَقُودُهَا شَابٌّ مَظْهَرُهُ جَمِيلٌ
وَبِصُحْبَتِهِ شَبَابٌ وَشَابَّاتٌ فَأَوْقَفَهَا مُتَعَمِّدًا وَرَاءَ سَيَّارَتِهِ وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ مَكَانَهُ.
اسْتَغْرَبَ الرَّجُلُ وَأَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ ثُمَّ أَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الشَّابِّ لِيُعْلِمَهُ أَنَّ الْمَوْقِفَ
يَكَادُ أَنْ يَكُونَ فَارِعًا مِّنَ السِّيَّارَاتِ فَأَشَارَ الشَّابُّ بِيَدِهِ نَحْوَ الرَّجُلِ لِيُعْلِمَهُ بِأَنَّهُ
يُرِيدُ هَذَا الْمَكَانَ لَا غَيْرَ. أَكْمَلَ الرَّجُلُ عَمَلَهُ ثُمَّ اتَّجَهَ نَحْوَ بَابِ السِّيَّارَةِ
الْأَمَامِيِّ. فَتَحَ الْبَابَ وَأَخْرَجَ التَّذْكَرَةَ وَرَجَعَ مُبْتَسِمًا نَحْوَ الشَّابِّ. مَدَّ الرَّجُلُ
التَّذْكَرَةَ بِاتِّجَاهِ النَّافِذَةِ طَالِبًا مِّنَ الشَّابِّ أَنْ يَأْخُذَهَا. أَنْزَلَ الشَّابُّ نَافِذَةَ السِّيَّارَةِ
وَاسْتَلَمَ التَّذْكَرَةَ فَوَجَدَهَا صَالِحَةً لِأَرْبَعِينَ دَقِيقَةً. طَاطَأَ الشَّابُّ رَأْسَهُ خَجَلًا
وَقَالَ:

يَا أَيُّهَا الْمُهَاجِرُ الْكَرِيمُ الْفَرَقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كَبِيرٌ.
أَرَدْنَا إِزْعَاجَكَ هَذَا الصَّبَاحَ فَكَافَأْتَنَا بِكَرَمِكَ.

القفز من الأعلى

كُنَّا نَعِيشُ فِي بَيْتٍ كَبِيرٍ. وَالِدَانِ بَسَيْطَانٍ وَسِتَّةُ إِخْوَةٍ وَثَلَاثُ أَخَوَاتٍ.
الأكْبَرُ وَالْكَبِيرُ يُسَاعِدَانِ الْوَالِدَ فِي مَتَجَرِّهِ وَالْفَتَيَاتُ يَقْمَنَ بِأَعْمَالِ الْمَتْرَلِ.
وَنَحْنُ الْأَرْبَعَةُ مَشْغُولُونَ بِالدِّرَاسَةِ حِينًا وَبِاللَّعِبِ أحيانًا أُخْرَى. أَكْبَرُنَا سَنًا
أَكْثَرُنَا ذِكَاءً يَخْتَرِعُ الْأَلْعَابَ اخْتِرَاعًا يُفَكِّرُ فِي الرِّيَاضَةِ تَارَةً وَفِي الطَّيْرَانِ تَارَةً
أُخْرَى. كَانَ سَبَّاحًا مَاهِرًا يَقْفِزُ نَحْوَ حَوْضِ السَّبَّاحَةِ بِطُرُقٍ شَتَّى وَيَقْطَعُ النَّهْرَ
بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ. أَجْزَمُ لَوْ أَنَّهُ عَاشَ وَنَمَا فِي السُّوَيْدِ لَكَانَ لَهُ مَكَانَةٌ رَفِيعَةً. مَرَّةً
اشْتَرَى كِتَابًا لِتَعْلِيمِ رِيَاضَةِ الْجُودُو. كُنْتُ أَرَاهُ عَن كَتَبٍ يَتَمَعَّنُ فِي الْكِتَابِ
وَعِنْدَمَا يَتَمَرَّنُ لَوْحِدِهِ. كَانَ يَقْفِزُ إِلَى الْأَعْلَى مَرَّةً وَيَمُدُّ ذِرَاعِيهِ بِاتِّجَاهَاتٍ
مُخْتَلِفَةٍ وَيَصِيحُ كَالْأَسَدِ مَرَّاتٍ أُخْرَى. كُنْتُ أَقْلِدُهُ ضَاحِكًا فَيَطْرُدُنِي وَأَطْلُبُ
مِنْهُ تَعْلِيمِي فَيَزْجُرُنِي. أَلْحَحْتُ مَرَّةً فَعَلَّمَنِي كَيْفَ أُدَافِعُ عَن نَفْسِي عِنْدَمَا الْخَصْمُ
مِنَ الْخَلْفِ يَمْسُكُنِي وَمَرَّةً طَلَبَ مِنِّي الْمُسَاعَدَةَ فِي تَدْرِيبَاتِهِ فَفَرِحْتُ فَإِذَا بِهِ عَلَى
الْأَرْضِ يُسْقِطُنِي. وَاشْتَرَى مَرَّةً حِذَاءَ التَّزْحُلُقِ وَتَمَرَّنَ كَثِيرًا حَتَّى أَصْبَحَ بَارِعًا فِي
هَذِهِ الرِّيَاضَةِ. فَكَّرْتُ يَوْمًا الْقَفْزَ بِالْمِظَلَّةِ مِنْ أَعْلَى الْبَيْتِ فَتَرَدَّدْتُ ثُمَّ خَافَ أَنْ يَفْقِدَ
حَيَاتَهُ ثُمَّ عَادَتِ الْفِكْرَةُ مِنْ جَدِيدٍ لَدَهْنِهِ فَقَفِزَ مِنَ الطَّابِقِ الْأَوَّلِ بِمِظَلَّتِهِ السُّودَاءِ
فَالْتَوَتْ قَدَمُهُ وَتَكَسَّرَتْ مِظَلَّتُهُ.

قطعة الخبز

أوقفتُ درّاجتي جانباً وقعدتُ لأستريحَ قليلاً على مقعدِ خالٍ في وَسَطِ المَدِينَةِ.
كَانَ الجَوُّ مُعْتَدِلاً لَطِيفاً وَكَانَتْ وُجُوهُ المَارَةِ بِشَوْشَةً فَرِحَةً. فَشَمَسُ الرِّبْعِ
مَشْرِقَةً وَأَوْرَاقُ الشَّجَرِ مَوْرِقَةٌ وَالْأَمْنُ مُنْتَشِرٌ وَالْأَرْزَاقُ كَثِيرَةٌ. مَا أَعْظَمَ نِعْمَ اللَّهِ
عَلَيْنَا مَقُولَةٌ بَدَدَتْ التَّعَبَ عَنِ جِسمِي وَمَلَأَتْ الخُشُوعَ نَفْسِي وَذَكَرْتَنِي بِكَلَامِ
اللَّهِ

" بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ "

وَكَيفَ أَنَّ النَّبِيَّ سُلَيْمَانَ شَيَّدَ دَوْلَةَ اليَمَنِ بَعْدَ إِيمَانِ أَهْلِهَا بِاللَّهِ وَتَرَكَهُمْ عِبَادَةَ
الشَّمْسِ وَكَيفَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْخَيْرِ وَالرِّزْقِ حَتَّى صَارَتْ اليَمَنُ جَنَّةً فِيهَا مِنَ
المِيَاهِ وَالْمَزَارِعِ وَالْفَوَاكِهِ مَا يُضْرَبُ بِهَا المِثْلُ. وَفَجَاءَ عَصْرَ قَلْبِي مَنْظَرُ طِفْلَةٍ
سَقَطَتْ مِنْهَا قِطْعَةٌ خُبْزٍ طَازِجَةٌ فَدَاسَتْ عَلَيْهَا بِقَدَمَيْهَا بِقُوَّةٍ بَدَلًا مِنْ رَفْعِهَا أَوْ
وَضَعِهَا جَانِبًا وَالْمَشْهَدُ كُلُّهُ دَارَ أَمَامَ عَيْنِي أُمِّهَا. فَفَقَزْتُ مِنَ مَقْعَدِي وَأَتَّجِهْتُ
نَحْوَ القِطْعَةِ. رَفَعْتُهَا مِنْ مَكَانِهَا وَعُدْتُ بِهَا فَإِذَا بِطُيُورِ الصَّافِّ تَحُطُّ عَلَى
الأَرْضِ تَنْتَظِرُ رِزْقَ الرَّبِّ مِنِّي. قَطَعْتُ القِطْعَةَ قِطْعًا وَرَمَيْتُ الخُبْزَ لِلطُّيُورِ الَّتِي
شَكَرْتُ رَبَّهَا وَشَكَرْتَنِي. رَجَعْتُ إِلَى مَكَانِي فَفَقَعْتُ ثُمَّ اسْتَرَجَعْتُ أَفْكَارِي
وَتَأَمَّلْتُ فِي السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ فَتَذَكَّرْتُ مَا حَلَّ بِأَهْلِ اليَمَنِ بَعْدَ أَنْ عَصَوْا رَبَّهُمْ
وَكَفَرُوا بِأَنْعَمِهِ مِنْ جُوعٍ وَفَقْرٍ وَابْتِلَاءٍ.

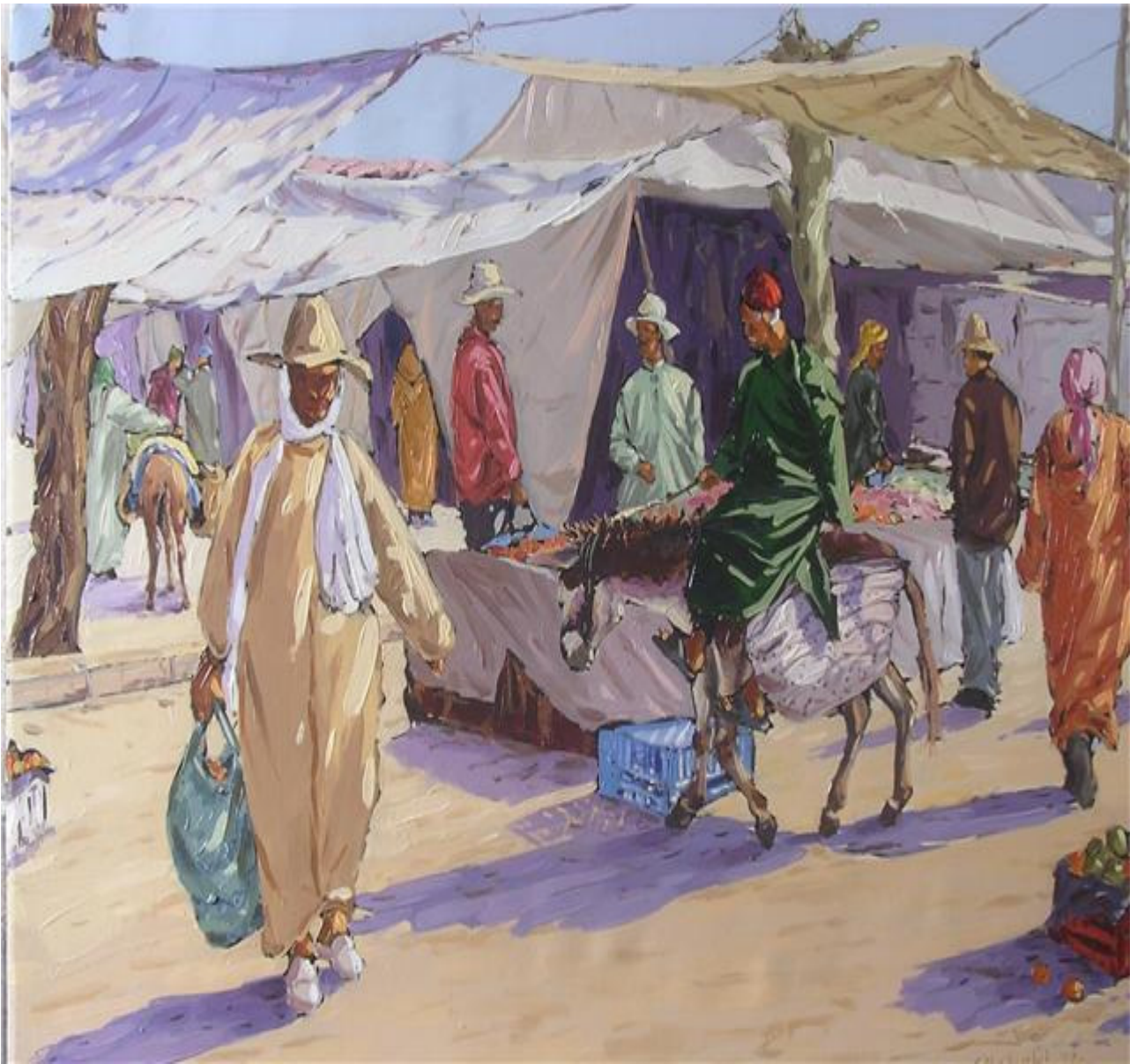
الطَّيِّبُ الْحَلَّاقُ

اسْتَعَدْتُ كَالْآخَرِينَ وَاسْتَعَدَّتْ زَوْجَتِي كَالْآخَرِيَّاتِ فَالْعِيدُ الْكَبِيرُ عَلَى الْأَبْوَابِ.
اشْتَرَيْنَا الثِّيَابَ الْجَدِيدَةَ وَعَمَلْنَا الْمُعْجَنَاتِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ نَشْتَرِيَ كَبْشَ الْعِيدِ.
سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ يَلْتَزِمُ بِهَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ أُسْوَةٌ بِالنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
الَّذِي كَانَ يُضَحِّي بِكَبْشٍ فِي الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ فَالْمَغَارِبَةُ دَائِمًا
مُجْتَهِدُونَ وَبِكُلِّ مَا آتَوْا مِنْ قُوَّةٍ مِنْ أَجْلِ شِرَاءِ هَذِهِ الْأُضْحِيَّةِ بِتَوْفِيرِ الْمَالِ أَوْ
بِيعِ النَّفَائِسِ كَحُلِيِّ الزَّوْجَةِ أَوْ بَعْضِ حَاجَاتِ الْبَيْتِ وَكَانَتِ النُّسُوءُ يَزِدُّونَ فَخْرًا
عِنْدَ رُؤْيَةِ ذَلِكَ الْحَيَوَانِ مَرْبُوطًا دَاخِلَ الْبَيْتِ وَالْأَطْفَالُ يَزْدَادُونَ فَرَحًا عِنْدَمَا
يَصِيحُ الْوَدِيعُ

..م باع..م باع... م باع

وَيَيْنَ زَحْمَةَ الْأَسْوَاقِ وَغَلَاءَ الْحَاجَاتِ أُرْشَدَنِي صَدِيقٌ إِلَى سَوْقٍ شَعْبِيٍّ تَحْتَضِنُهُ
قَرْيَةُ الْعَوَامِرَةِ الْمَشْهُورَةِ بِزِرَاعَةِ نَبَاتِ الْفُولِ السُّودَانِيِّ وَالَّتِي تَقَعُ شِمَالَ مَدِينَةِ
الْقَصْرِ الْكَبِيرِ حَيْثُ مَقَرُّ عَمَلِي. اتَّجَهْتُ بِسَيَّارَتِي صَبَاحًا نَحْوَ الْقَرْيَةِ وَعِنْدَمَا
وَصَلْتُهَا وَجَدْتُ سَوْقًا شَعْبِيًّا مُزْدَحِمًا تُبَاعُ فِيهِ الْخِرَافُ وَالْفَاكِهَةُ وَالْحُبُوبُ
وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ أُخْرَى. تَرَجَّلْتُ وَمَشَيْتُ بَيْنَ الْبَاعَةِ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا لَعَلِّي أَجِدُ
خُرُوفًا مُنَاسِبًا لِحَالَتِي الْمَادِيَّةِ وَإِذَا بِي أَرَى مَنْظَرًا عَجِيبًا وَمَوْئِلًا. رَأَيْتُ رَجُلًا
جَالِسًا عَلَى بَرْمِيلٍ يَصْرُخُ عَالِيًا وَيَشْتَكِي بِأَكْيَا مِنْ وَجَعِ ضِرْسِ أَلَمِهِ وَيَأْمَلُ مِنْ
طَبِيبِهِ الْحَلَّاقِ أَنْ يُنْهِيَ الْعَمَلِيَّةَ بِنَجَاحٍ. وَالْأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّ الْحَلَّاقَ كَانَ
يَسْتَعْمَلُ مِلْقَطَ نَجَّارٍ قَدِيمٍ (كَلَابَتَيْنِ) وَيُحَاوِلُ أَنْ يَخْلَعَ الضَّرْسَ مِنْ جُدُورِهِ.
نَسِيتُ خُرُوفَ الْعِيدِ وَبَقِيتُ أَرْنُو نَحْوَ الْمَرِيضِ الَّذِي كَانَ يَنْهَضُ مِنْ مَكَانِهِ

كُلَّمَا جَرَّ الْحَلَاقُ السِّنَّ بِمَلْقَطِهِ. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَغْضِبُ الْحَلَاقُ وَيُعِيدُ الْمَرِيضَ
إِلَى مَقْعَدِهِ وَاسْتَمَرَّتِ الْمُحَاوَلَاتُ حَتَّى نَجَحَ الطَّبِيبُ بِمُهْمَتِهِ. خَلَعَ السِّنَّ فَفَرِحَ
الرَّجُلُ رَغَمَ الدَّمَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَسِيلُ مِنْ جَانِبِي فَمَه. تَرَكْتُ الْمَكَانَ وَعُدْتُ إِلَى
مَدِينَتِي بَعْدَ أَنْ اشْتَرَيْتُ مَا ذَهَبْتُ لِأَجَلِهِ. حَاوَلْتُ أَنْ أَنْسَ الْمَشْهَدَ وَأَفْرَحَ مَعَ
أُسْرَتِي فَإِذَا بِي أَرَى طِفْلِي الصَّغِيرَ قَدْ أَدْخَلَ يَدَيْهِ فِي فَمِ الْخُرُوفِ وَرَاحَ يُرَاقِبُ
أَسْنَانَهُ.



أَقْسَى مِنَ الْعُرْبَةِ

كَانَتْ سُنُونَ الْعُرْبَةِ عَلَيْنَا ثَقِيلَةً وَأَلَمُ الْفِرَاقِ مَوْجِعًا وَالشَّوْقُ لِلْأَحَبَّةِ وَالْأَهْلِ حَارًا
وَكَبِيرًا كَكَبِيرِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَعَانِينَا فِي إِقَامَتِنَا وَتَرْحَالِنَا وَفِي كُلِّ
وَقْتٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ لَا نَجِدُ لَنَا غَيْرَ الرَّبِّ مُعِينًا وَرَازِقًا وَمُسَهِّلًا. يَجُودُ لَنَا
بِكْرَمِهِ فَيُقِيلُ الْعَثْرَاتِ وَيُلْهِمُ الْأَفْكَارَ وَيُعْطِي الْمَوَاهِبَ وَيُكْفِي الْمَخَافَ وَيَسْتُرُ
الْأَخْطَاءَ وَيَفْرِجُ الْهُمُومَ وَيُشْفِي الْأَمْرَاضَ. وَاتَذَكَّرُ يَوْمَ ظَهَرَ فِي سَاعِدِي الْأَيْمَنِ
كَيْسٌ دِهْنِي فَسَأَلْتُ فِي مُسْتَشْفَى حُكُومِي الطَّبِيبَ عَنْهُ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَّا بِمَوْعِدِ
عَمَلِيَّةٍ لِإِزَالَتِهِ. تَحَمَلْتُ الْوَجَعَ حَتَّى حَانَ الْمَوْعِدُ فَوَصَلْتُ الْمُسْتَشْفَى وَإِذَا
بِالطَّبِيبِ يُدْخِلُنِي غُرْفَةً مُتَوَاضِعَةً وَيَسْأَلُنِي عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْضَرْتَهَا مَعِي.
سَأَلْنِي عَنْ مَادَّةِ التَّخْدِيرِ وَالْخَيْطِ وَعَنْ الضَّمَادَاتِ فَطَارَ لُبِّي مِنْ طَلَبَاتٍ لَمْ تَخْطُرْ
عَلَيَّ بَالِي فَقَدْ كُنْتُ مُعْتَقِدًا أَنَّهَا مُتَوَفَّرَةٌ فِي الْمُسْتَشْفَى الْحُكُومِيِّ. وَعِنْدَمَا أَجَبْتُهُ
بِالنَّفْيِ سَأَلْنِي إِنْ كُنْتُ أَتَحَمَّلُ الْعَمَلِيَّةَ بِلا مُخَدَّرٍ وَبِلا خَيْطٍ أَوْ أَنْتَظِرَ مُدَّةً
ثَانِيَةً أُخْرَى. فَكَّرْتُ قَلِيلًا بِالْوَجَعِ الْقَاتِلِ الَّذِي هَدَّ سَاعِدِي فَوَافَقْتُ عَلَى الْعَمَلِيَّةِ
بِلا تَخْدِيرٍ وَبِلا خَيْطٍ. اسْتَلْقَيْتُ عَلَى ظَهْرِي وَمَدَدْتُ ذِرَاعِي الْأَيْمَنِ فَإِذَا بِمَشْرَطِ
الطَّبِيبِ يَقْطَعُ جِلْدِي يَمِينًا يَسَارًا وَعُمُقًا وَمِنْ وَسَطِ الدَّمَاءِ الْجَارِيَةِ أَخْرَجَ كَيْسًا
دِهْنِي فَأَحْسَسْتُ وَكَأَنَّ جِسْمًا غَرِيبًا مُؤَلِمًا قَدْ رَاحَ عَنِّي ثُمَّ نَظَّفَ الطَّبِيبُ
الْجِرْحَ وَقَالَ مَادِحًا: أَنْتَ رَجُلٌ قَوِيٌّ وَشُجَاعٌ.
فَأَجَابَهُ الْجِرْحُ وَأَنْتَ طَبِيبٌ قَاسٍ
بَلْ أَقْسَى مِنَ الْعُرْبَةِ.

أيام في الجزائر

في شتاء عام ألف وثمانمائة وسبعة وسبعون زُرْتُ دَوْلَةَ الْجَزَائِرِ وَدَخَلْتُ
الْحُدُودَ عَنْ طَرِيقِ (زَوْجِ بَغَالِ) بَعْدَ أَنْ غَادَرْتُ مَدِينَةَ وَجْدَةَ الْمَغْرِبِيَّةَ
وَاسْتَعْرَبْتُ مِنْ هَذَا الْاسْمِ الْمُهِينِ الَّذِي أَطْلَقَهُ الْفَرَنْسِيُّونَ عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ
الْحُدُودِيَّةِ خِلَالَ فِتْرَةِ الْإِحْتِلَالِ وَمِنْ رِضَاءِ الْحُكُومَةِ بِأَنَّ تَدْوِمَ التَّسْمِيَةِ
الْوَضِيعَةَ هَذِهِ الْمُدَّةَ الطَّوِيلَةَ. رَكَبْنَا سَيَّارَةَ الْأُجْرَةِ حَتَّى وَصَلْنَا تَلْمِسَانَ تِلْكَ
الْمَدِينَةَ الْجَمِيلَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي لَمْ تَدْخُلْهَا جُيُوشُ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَعِنْدَهَا تَوَقَّفَ
الْغَزِيُّ فَجَعَتِ الْمَنْطِقَةَ كُلَّهَا مِنَ الْعُرَبَاءِ وَظَلَّتِ الْمَدِينَةُ شَامِخَةً أَصِيلَةً
حَتَّى قِيلَ عَنْهَا " تَلْمِسَانَ زِينَةُ الْبُلْدَانِ " التَّقِيْتُ بِأَصْحَابِي وَأَهْلِي جِلْدَتِي وَتَعَرَّفْتُ
عَلَى أَصْحَابِ ذَاقُوا الْإِضْطِهَادَ فِي بِلَادِي قَبْلِي فَتَسَامَرْنَا فِي أُمُسيَاتٍ مَا زَالَتْ
ذَكَرَها فِي عَقْلِي وَنَفْسِي ثُمَّ تَجَوَّلْنَا دَاخِلَ الْمَدِينَةِ الْهَادِئَةِ وَخَارِجَهَا الرَّائِعِ بِطَبِيعَتِهِ.
بَعْدَ يَوْمَيْنِ زُرْنَا مَدِينَةَ سِيدِي بِالْعَبَّاسِ ثُمَّ وَهْرَانَ الْمَدِينَةَ الثَّانِيَةَ الْكَبِيرَةَ بَعْدَ الْعَاصِمَةِ
الْجَزَائِرِ فَاِنْ دَهَشْتُ بِجَمَالِهَا وَسَحَرِ طَبِيعَتِهَا وَاسْتَعْرَبْتُ مِنْ فِقْدَانِ الْأَمْنِ فِيهَا
وَكَثَرَتِ اللَّصُوصُ فِي شَوَارِعِهَا. فَقَدْ رَوَيْ لِي بَعْضُ أَصْحَابِي كَيْفَ أَنَّهُ رَأَى مِنْ
شُرْفَةِ شِقَّتِهِ مَجْمُوعَةً مِنَ اللَّصُوصِ وَقَدْ أَخْتَبَّؤُوا مُعْظَمُهُمْ عَلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ وَبَقِيَ
أَحَدُهُمْ نَائِمًا وَسَطَ الشَّارِعِ كَأَنَّهُ مَيِّتًا فَلَمَّا تَوَقَّفَتْ أَوَّلُ سَيَّارَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ جَسَدِهِ
لِتُنْقِذَهُ أَوْ تُسَاعِدَهُ خَرَجُوا عَلَيْهِ وَسَرَقُوا مَالَهُ وَحَاجَاتِهِ وَجَمِيعَ مَلَابِسِهِ وَرَكَبُوا
سَيَّارَتَهُ وَتَرَكَوهُ بِمَلَابِسِهِ الدَّاخِلِيَّةِ وَحِيدًا عَارِيًّا.

تارودانت وَالْهَيْكَل الْعَظْمِي

حَصَلْتُ عَلَى عَقْدِ عَمَلٍ لَسَنَتَيْنِ فِي إِحْدَى الْمُدُنِ الْمَغْرِبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ التَّابِعَةِ لِإِقْلِيمِ أَغَادِيرِ. الإِقْلِيمُ السَّاحِلِيُّ الَّذِي يَقَعُ عَلَى شَاطِئِ الْمُحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ وَالَّذِي دَمَرَهُ الزَّلْزَالُ فِي سِتِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي ثُمَّ شِيدَ مِنْ جَدِيدٍ بِمُسَاعَدَةِ دَوْلِ الْعَالَمِ فَصَارَ عُمْرَانُهُ جَمِيلًا خَلَابًا حَدِيثًا تَظْهَرُ فِي أْبْنِيَّتِهِ جَمَالٌ وَهَنْدَسَةٌ الذَّوْقِ الْإِنْسَانِ الْمُبْدِعِ. إِلَّا أَنَّ مَدِينَتِي كَانَتْ مُخْتَلِفَةً تَمَامًا كَانَتْ قَرْيَةً زِرَاعِيَّةً مَشْهُورَةً بِأَشْجَارِ الْأَرْغَانِ وَبَسَاتِينِ الْبُرْتُقَالِ وَاللِّيمُونِ وَمَزَارِعِ الْبَطِيخِ وَكُلِّ أَنْوَاعِ الْخَضِرَوَاتِ. طِرَازُهَا الْمِعْمَارِيُّ قَدِيمٌ أَسْوَارٌ طِينِيَّةٌ عَالِيَةٌ، وَبَوَابَاتٌ صَغِيرَةٌ لِلدَّخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَأَبْنِيَّةٌ وَمَحَلَّاتٌ بَسِيطَةٌ، وَشَوَارِعٌ ضَيْقَةٌ تَكْتَضُ بِالزَّائِرِينَ الْأَجَانِبِ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ زِيَارَتَهَا لِبَسَاطَةِ الْحَيَاةِ فِيهَا وَرُخْصِهَا وَجُودَةِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْبِيَّةِ فِيهَا وَأَمَّا شَوَارِعُهَا الْخَارِجِيَّةُ فَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمُلْتَوِيَّةٌ وَمُزَيَّنَةٌ بِأَشْجَارِ الْبُرْتُقَالِ طُولِ الْعَامِ وَكَبَسَاطَةِ الْحَيَاةِ فِيهَا كَانَ كَذَلِكَ سُكَّانُهَا وَطُلَّابُهَا يَحْتَرَمُونَ الْمُعَلِّمَ وَيُقَدِّسُونَهُ بَلْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ يُقْبَلُونَ أَيْدِ الْأَسَاتِذَةِ قَبْلَ دُخُولِهِمْ قَاعَةَ الدَّرْسِ وَعِنْدَمَا بَدَأَتْ الْعَمَلُ رَفَضْتُ التَّقْبِيلَ وَقُلْتُ: كُفُّوا عَنْهَا فَإِنَّهَا السَّجْدَةُ الصُّغْرَى. وَمِنْ بَيْنِ طُلَّابِهَا (مَسْتُورِ الْيَزِيدِ) الَّذِي لَمْ تُمَحِ السُّنُونُ صُورَتَهُ مِنْ ذَاكِرَتِي وَلَمْ تُغَادِرْ حَالَةَ الْخَوْفِ الَّذِي أَصَابَتْهُ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْهَيْكَلِ الْعَظْمِيِّ فِي دَرَسِ الْعُلُومِ مَشَاعِرِي وَفِكْرِي. لَقَدْ ارْتَجَفَتْ جَوَارِحُهُ وَأَصْفَرَ لَوْنُهُ بِمُجَرَّدِ أَنْ لَامَسَتْ يَدَاهُ عِظَامَ الْهَيْكَلِ مُعْتَقِدًا أَنَّهَا عِظَامًا حَقِيقِيَّةً تَعُودُ لِشَخْصٍ مَيِّتٍ وَلَمْ تَنْفَعُهُ كُلُّ تَوْضِيحَاتِي فِي تَغْيِيرِ قَنَاعَتِهِ بَقِي خَائِفًا وَعِنْدَمَا سَأَلْتُهُ عَنِ اسْمِ فِقْرَاتِ الْبَطْنِ قَالَ مِنْ خَوْفِهِ: مَسْتُورِ الْيَزِيدِ.